العرض المصطلحي في الدرس اللغوي بين مدرستي البصرة والكوفة

أ.لزرق بلعباس

جامعة امحمد بوقرة بومرداس. الجزائر

ملخص:

ما من شك أن الدرس النحوي في البصرة سابق للدرس النحوي في الكوفة، وما من شك أن الكوفيين أخذوا عن البصريين، إلا أن الدرس النحوي في الكوفة له ما يميزه عن غيره، فقد خالف الكوفيون البصريين، وهذا الاختلاف بينهما واضح جلي، شمل نقاط عديدة في التفكير النحوي من أهمها المصطلح وكيفية صناعته وعرضه، فلكل مدرسة مصطلحاتها التي قدمتها بطريقة تناسب تفكيرها، وإن كان يلمح في المصطلح الكوفي تأثر بالمصطلح البصري.

الكلمات المفتاحية: البصرة، الكوفة، المصطلح، العرض.

Abstract:

There is no doubt that grammar school in Basra started before that in Kufa, and there is no doubt that the Kufis has learnt from the Basrien ; However,

the grammatical lesson in Kufa has what distinguishes it from others. The Kufis has contradicted the Basrien, and this difference between them is quite clear, the most important of which is the term, how it is manufactured and displayed. Each school has its own terminology; though, it seems like the Kufi term has influenced by the one of Basra

Keywords*: *Basra, Kufa, Term, Presentation.

مقدمة:

لما استوى النحو العربي علما قائما بذاته تطور إلى مناهج و آراء و مدارس ، فظهر على خريطة هذا العلم ما يعرف بالمدارس النحوية ، و التي تباينت موقعا و اختلفت آراء و لعل هذا التباين والاختلاف في المدارس يرجع أحيانا إلى أسباب علمية و موضوعية ، و أحيانا أخرى يتجاوز ذلك إلى أسباب سياسية و عصبية و غيرها ، و الاختلاف في الرأي أو ربما تعمد مخالفة الآخر عن سابق إصرار هو الذي أدى إلى ظهور المدارس ، إذ كل حزب بما لديهم فرحون .

و إذا كان الكثير يرجع وضع النحو إلى أبي الأسود الدؤلي ، فإنه منذ النصف الثاني للقرن الثاني الهجري اختلفت مذاهب النحويين بين اتجاهين أو بين مدينتين هما البصرة والكوفة ، فيقول أحد الباحثين : " جدير بالذكر أنه كان بين الكوفة و البصرة منذ توصيرهما تنافس يقوم على أساس الإقليم كانت دوافعه في الغالب سياسية ..»[1] ، و قد كان هذا التنافس باعثا على الاختلاف في دراسة النحو فنتج عن ذلك المدارس النحوية.

1 ـ **مدرسة البصرة** : أنشئت مدينة البصرة في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في الجنوب الغربي من العراق و هي قريبة من بادية نجد، و كان ذلك في سنة 17 للهجرة وتعتبر البصرة أول مدينة اهتمت باللغة العربية عن طريق جمع قواعدها، كيف لا ؟ و قد كانت بداية مدرسة البصرة النحوية مع واضع النحو أبي الأسود الدؤلي ، وهناك من يرى أن البداية الفعلية لهذه المدرسة كانت مع الخليل بن أحمد الفراهيدي ، فيقول المستشرق بروكلمان عن ذلك في كتابه –تاريخ الأدب العربي- : "... والخليل بن أحمد الفراهيدي هو أول

من نهج مسالك جديدة في علم اللغة العربية وهو تلميذ أبي عمرو بن العلاء ، لذا فهو يعتبر المؤسس الحقيقي لعلم النحو العربي "[2] .

وأيا كانت بداية المدرسة البصرية سواء مع أبي الأسود الدؤلي أم مع الخليل ، فلا شك في كونها أولى مدارس النحو ، و لا شك أن البصريين لهم قدم سبق راسخة في هذا العلم , وقد جاء في كتاب -نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة - : " روى لنا التاريخ أن البصريين هم الذين وضعوه و تعهدوه بالرعاية قرابة قرن كانت فيه الكوفة منصرفة عنه بما شغلها من رواية الأشعار و الأخبار و الميل إلى التندر بالطرائف من المدح و النوادر ..."[3] .

أ- طبقات النحاة البصريين و أعمالهم : " يقسم العلماء نحاة البصريين إلى عشر طبقات "[4]، تختلف من حيث الزمان و التأثير في الدرس النحوي البصري، وهذه الطبقات هي:

- **الطبقة الأولى :** يمثلها أبو الأسود الدؤلي و هو واضع علم النحو – على أكثر الروايات - .

- **الطبقة الثانية:** و يمثلها تلاميذ أبي الأسود الدؤلي : نصر بن عاصم ، عنبسة الفيل، ميمون الأقـــرن، ويحي بن يعمر، و قد أخذ هؤلاء عن الدؤلي ، و كان من عملهم "... الرواية للمسموع فلم تثبت بينهم فكرة القياس ..."[5] ، "و لم تقو حركة التصنيف بينهم , فلم يؤثر عنهم إلا بعض نتف في مواطن متفرقة .. لم تبلغ حد الكتب المنظمة "[6].

- **الطبقة الثالثة :** يمثلها عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (117 هـــ) و هو " أعلم البصريين بالنحو فرع النحو وقاسه وهو أستاذ أبي عمرو بن العلاء ، و عيسى بن عمر و الأخفش ، وهو أول من بعج النحو و مد القياس ، و شرح العلل .."[7] .

- **الطبقة الرابعة :** و يمثلها أبو عمر بن العلاء (154 هـــ), عيسى بن عمر (149 هـــ) وغيرهم ، " و عيسى بن عمر الثقافي صاحب الكتابين في النحو : - الجامع و الإكمال "[8] ، وقد قال الخليل فيه

و في كتابيه مدحا :

ذَهَبَ النَّحْو جَميعًا كُلّـهُ غَيْرَ مَا أَحْدَثَ عِيْسَى بنُ عُمَر

ذَاكَ إِكْمَالٌ وَ هَذَا جَامعٌ فَهُمَـا للنَّاس شَمْسٌ وَ قَمَـــر

وأما أبو عمر بن العلاء فقد "كان لغويا، أكثر منه نحويا"[9] ، ألا تراه في الحادثة المشهورة بينه و بين عيسى بن عمر في القول : (ليس الطيب إلا المسك) "يجيب بأنه ليس في الأرض حجازي ألا و هو ينصب ، و لا في الأرض تميمي إلا و هو يرفع و هذا من معرفته بلغات العرب "[10]

- **الطبقة الخامسة :** و من بين من يمثلها الخليل بن أحمد الفراهيدي و يونس بن حبيـــب (183 هـــ)

والخليل هو واضع علم العروض و صاحب معجم العين و أستاذ سيبويه و تعزى إليه مضامين الكتاب ومعه قطع النحو شوطا كبيرا نحو الاكتمال بتطور القياس و استنباط العلل والعوامل .

- **الطبقة السادسة :** خير من يمثلها سيبويه، و الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (221 هـــ) و فيها ظهر أعظم إنتاج في النحو تمثل في -الكتاب - و الذي عد قرآن النحو و شغل النحاة و غيرهم لزمن غير قصير ، و مثل مرجعية مهمة لكل المنشغلين بالنحو .

- **الطبقة السابعة :** و من بين من يمثلها المازني (248 هـــ) و قطرب (206 هـــ) و أبو حاتم السجستاني (255 هـ) و من أهـم ما شهدته هذه الطبقة الفصل بين النحو والصرف، "وأول من سلك هذا السبيل المازني فقد ألف في الصرف وحده، ... فمن مؤلف في النحو وحده، و من مصنف في الصرف وحده"[11] ، فكان المازني هو أول " من خطا تجاه فصل النحو عن الصرف ... فجعل مباحث الصرف متخصصة بعد أن كانت مختلطة بالنحو"[12] ، و أما قطرب فهو تلميذ سيبويه، و قد تميز برأيه الطريق فيما يخص الإعراب و الذي خالف به غيره ، فهو يرى أن العرب لم تعرب كلاهما للتفريق بين المعاني و إنما فعلت ذلك فقط وصلا للكلام و تعاقبا له .

- **الطبقة الثامنة :** وخير من يمثلها المبرد (285 هـــ) و هو تلميذ المازني و قد ألّف المقتضـــب والكامل في اللغة والأدب ، كما أنه " آخر أئمة المدرسة البصرية المهمين أخذ عنه الصولي ونفطويه "[13] .

- **الطبقة التاسعة :** و من العلماء فيها: الزجاج (310 هـــ) ، بن السراج (316 هـــ) ، الأخفش الصغير (315 هـــ) و ابن درستويه (347 هـــ) ...., أما الزجاج و ابن السراج فكلاهما أخذ عن المبرد بعد أن لازمه وقتا ، و لابن السراج كتاب الأصول في النحو و هو صاحب فكرة علة العلة أو ما يعرف بالعلل الثواني و الثوالث.

وأما الأخفش الصغير و ابن درستويه فكلاهما أخذ عن المبرد و ثعلب (291 هـــ) .

والأخفش الصغير " معروف بخلط المذهبين "[14]، أي المذهب البصري و المذهب الكوفي.

- **الطبقة العاشرة والأخيرة :** و من أشهر أعلامها : الزجاجي ، و السيرافي (368 هـــ) والبغدادي (384 هـــ) ، وللزجاجي الإيضاح في علل النحو و هو واحد من الكتب الذائعة الصيت ، و أما السيرافي فقام بشرح كتاب سيبويه ، و أما البغدادي فهو المعروف بالرماني : " كان يمزج النحو بالمنطق والفلسفة حتى قال أبو علي الفارسي :" إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء ، و إن كان ما نقوله فليس معه منه شيء"[15] .

هذه هي طبقات النحويين البصريين مع الملاحظ أن الطبقات الأخيرة تداخل الدرس النحوي البصري فيها مع الدرس النحوي الكوفي ، و ذلك نتيجة لتلاقي علماء البلدين في بغداد عاصمة الخلافة العباسية وللمناظرات الدائرة بينهم آنذاك غير أنه يبقى لكل مدرسة منهجها الخاص في البحث .

ب- منهج المدرسة البصرية : لقد وضع البصريون للنحو العربي قواعد عامة مستنبطة من دراسة الجزئيات التي تتبعوها عند القبائل العربية و التي كانت بعيدة عن مواطن اللحن ، كما اعتمدوا على الأخذ من القرآن الكريم و من العرب الخلص الذين لا يرتقي الشك إلى فصاحتهم و لا يطال ألسنتهم ، ولقد أهمل البصريون ما خرج عن قواعدهم المستقرأة ، و سموه شاذا يحفظ و لا يقاس عليه أو ضرورة دعت إليها القافية و هم بذلك إنما وقعوا تحت سلطان القياس

الخاضع للعقل ، و لعل البصريين بهم مس من نهج المعتزلة في اعتدادهم بالعقل و تأثرهم بالفلسفة اليونانية " لأن المعتزلة أول من استعان بالفلسفة اليونانية "[16].

وعموما: يمكن القول إن المدرسة البصرية كانت أشد حذرا في تقبل الرواية وأصح قياسا وأكثر إعمالا للعقل من غيرها .

2 ـ **مدرسة الكوفة**: الكوفة هي الأخرى مدينة عراقية أنشئت في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب –رضي الله عنه – وكان ذلك في سنة 17 للهجرة و قد أنشئت في شمال العراق بعيدة عن البادية فقام بين أهل البصرة و أهل الكوفة تعصب قبلي سرعان ما تحول إلى تعصب سياسي فعلمي .

ومع أن الكوفة كانت الحاضرة الثانية للعراق ، إلا أن بدايات الدرس النحوي فيها يشوبها الغموض، والأكيد أن نشأة الدرس النحوي في الكوفة تأخرت عن نشأته في البصرة ، كما يروى لنا ذلك المستشرق الألماني كارل بروكلمان قائلا :" و لعل نشأة هذه الدراسات قد تأخرت في الكوفة عن البصرة ، بعد أن أخذ الكوفيون عن البصريين و تأثروا بهم"[17] ، وعلى هذا فإن الكوفيين تأثروا بالبصريين في بعض جوانب دراساتهم للنحو ، ثم ما لبثت أن تباينت الآراء بين المدرستين و اشتد الخلاف بين نحاتهما ، فيقول الدكتور أحمد أمين :" أنشأ الرؤاسي مدرسة الكوفة في النحو و وضع فيه كتابا لم يصل إلينا ، و بدأ الخلاف هادئا بين الرؤاسي في الكوفة والخليل في البصرة ، ثم اشتد بين الكسائي في الكوفة و سيبويه في البصرة"[18]، وأبو جعفر الرؤاسي هو مؤسس مدرسة الكوفة النحوية ثم جاء بعده الكسائي و الفراء و غيرهم.

أ- طبقات النحاة الكوفيين و أعمالهم: و" يُقسّم نحاة الكوفة إلى ست طبقات "[19] ، وهي:

- **الطبقة الأولى :** و في هذه الطبقة نجد أبا جعفر الرؤاسي مؤسس المدرسة الكوفية و معاذ بن مسلم الهراء (ت 187هـ) و هو أيضا من واضعي أركان هذه المدرسة .

- **الطبقة الثانية :** و خير من يمثل هذه الطبقة الكسائي علي بن حمزة و هو تلميذ الرؤاسي وأستاذ الفراء " و ما ظنك برجل غلامه الفراء "[20]، و" الكسائي هو الذي مكّن للنحو الكوفي

بناءه القريب من الكمال بما تمكّن منه من إلمام بمسائل الكوفيين بعد أن درسها على الرؤاسي والهراء ، و بعد أن اطلع على آراء البصريين"[21]؛ إذن : فللكسائي دور عز نظيره في إرساء دعائم النحو الكوفي ، فقد أخذ عن مشائخ الكوفة و البصرة، وجلس إلى الخليل و أخذ عنه كما أنه ارتحل إلى البوادي وسمع عن الأعراب بالإضافة إلى أنه في الأصل مولى لبني أسد و هم أهل فصاحة ، و فقد ضرب في الفصاحة بكل سهم وأخذ من العربية من كل طرف .

- **الطبقة الثالثة:** ومن أعلامها الفرّاء تلميذ الكسائي، وهذا الشبل من ذاك الأسد فقد استكمل الفراء رسم معالم النحو الكوفي سالكا نهج أستاذه في بناء نحو كوفي محض يقوم على مخالفة النحو البصري.

ومن بين ما خلف الفراء كتاب –معاني القرآن – و هو كتاب جليل عميم الفائدة يعتمد على التفسير النحوي و التراكيب و الإعراب و يبحث في القراءات ، وقد أودعه الرجل جل علمه .

وحسبنا من الفراء ما قيل فيه , فقد قال ثمامة بن أشرس وهو أحد كبار المعتزلة لما التقى الفراء :

" فاتشته عن اللغة فوجدته بحرا ، و فاتشته عن النحو فوجدته نسيج وحده..."[22] و قد لقب أيضا : بأمير المؤمنين في النحو .

وتروي لنا الروايات أيضا ما دار بين الفرّاء و الخليفة العباسي المأمون حين وجد هذا الأخير أن ولديه يقتتلان من أجل تقديم نعل الفرّاء ، فاستدعاه المأمون ، و سأله : من أعز الناس ؟فقال الفرّاء: "ما أعلم أحدًا أعز من أمير المؤمنين ، فقال المأمون: لا ، أعز الناس من يقتتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين حتى يصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردا ، و في هذا بالغ التأكيد على القيمة التي كان يحظى بها الفرّاء عند عامة الناس و خاصتهم ، و في زماننا هذا شبّه الدكتور طه حسين الأستاذ إبراهيم مصطفى بالفرّاء لجلده في مقارعة عويص النحو وتفرده في بعض الآراء ، لمّا قدم عميد الأدب العربي لكتاب –إحياء النحو - .

- **الطبقة الرابعة :** و يمثّلها أصحاب الفرّاء و تلامذته : "سلمة بن عاصم ثم أبو عبد الله الطوال ثم محمد بن قادم ثم بن سعدان ، ثم محمد بن حبيب "[23] , و كلهم سار على منهج الفرّاء، و دار في فلك علمه ، فكأنما سبقهم الفرّاء إلى كل شيء وحجب عنهم كل النحو .

- **الطبقة الخامسة :** يمثلها ثعلب (219 هـــ) و قد أخذ عن نحاة الطبقة الرابعة ، و هو من أكبر المدافعين عن مدرسة الكوفة و عن شيخيها الكسائي و الفرّاء.

- **الطبقة السادسة والأخيرة :** ومن أعلامها ابن كيسان (ت 299 هـــ) و نفطويه (320هـــ) وابن الأنباري أبو بكر (328 هـــ) , و هو غير كمال الدين أبو البركات بن الأنباري صاحب : -" الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين -، وهذه الطبقة الأخيرة من المدرسة الكوفية تميزت بمزج المذهبين البصري و الكوفي، وتداخل المصطلحات.

ب- منهج المدرسة الكوفية: يمكن القول إن مدرسة الكوفة اتّسمت بمنهج خاص في دراسة النحو ميّزها عن المدرسة البصرية ، إلا أنه قد يلمح و لو بشكل طفيف تأثر الدرس الكوفي بالدرس البصري ويرجع ذلك إلى تأثر الكسائي ، و هو إمام أهل الكوفة بقدماء نحاة البصرة لما كان يرتاد حلق الخليل بن أحمد ، و لعل هذا التأثر بالمدرسة البصرية لا يخفي خصوصية المنهج الكوفي الذي استمده الكسائي من بيئة الكوفة حيث كان آنذاك قارئا مولعا بالرواية و النقل ، و هذا ما سينعكس بصورة واضحة على المنهج الكوفي , فلقد انبنى هذا المنهج على أخذ كل ما جاء عن العرب و الاعتداد به ، فاهتم نحاة الكوفة بحفظ الشواهد و النوادر واعتمدوا عليها ، حتى قيل عنهم :"تلقفوا الشواهد النادرة و قبلوا الروايات الشاذة "[24] ، و قيل أيضا إن الكوفيين :"...كانوا أقل حرية و أشد احتراما لما ورد عن العرب ولو موضوعا "[25] ، وربما ذهب الكوفيون مذهبا أبعد في الاعتداد بالشاذ و الغريب حتى أنهم قد يجعلوه أصلا من الأصول و لو خالف غيره ، و لذلك قيل عنهم : " الكوفيون لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا و بوبوا عليه"[26].

وعلى العموم فلقد اعتمدت الكوفة منهجا خاصا في دراسة النحو خالف المنهج البصري إلى حد المناقضة و التضاد ، فقد اعتمد نحاة الكوفة التوسع في الرواية ، و بدل الاتساع اعتمدوا

على القياس ، وعليه فالمدرسة الكوفية اتسمت بمنهج وصفي بينما المدرسة البصرية اتسمت بمنهج معياري يستند إلى القياس، ولعل مخالفة الكوفيين للبصريين في المنهج والذي قد يكون متعمدا أحيانا - لا شك – طال أيضا مخافتهم لهم في المصطلح، وخصوصا في مراحل مفصلية في طبقات المدرستيين، ويظهر ذلك جليا عند الفرّاء من جانب الكوفيين مقابلا لسيبويه عند البصريين.

3 – عرض المصطلح عند البصريين من خلال سيبويه وكتابه – الكتاب - :

لا غرو أن المدرسة البصرية النحوية تكاد تنبني على كتاب سيبويه، وعلى ما جاء فيه من أفكار وآراء وإن كانت مضامين الكتاب تعزى إلى الخليل بن أحمد أستاذ سيبويه، ولا ينكر مكانة هذا الكتاب عند البصريين وعند جميع النحاة إلا جاحد أو جاهل، فالمطّلع على هذا العمل الجبار – لاريب – "يجد عملا نحويا ناضجا، حتى بلغ الاعجاب به كل مبلغ، فقال أبو عثمان المازني " ت 247 هـ": من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي ... "[27]، وقال عنه أيضا الجاحظ مادحا: "لم يكتب الناس في النحو كتابا مثله، وجميع ما كتب الناس عليه عيال"[28].

والحال هكذا يبدو أن كتاب سيبويه عمل نحوي عجز عنه الأولون ودهش منه الآخرون، لم يودعه صاحبه علمه فحسب، بل أيضا ما أخذ عن جهابذة أئمه البصرة، بدءا بالخليل ويضاف إليه "علوم وشيخ آخرين منهم: الأخفش الأكبر، ومنهم يعقوب بن إسحاق بن أبي إسحاق الحضرمي، ومنهم عيسى بن عمر..."[29]، وبذا غدا الكتاب عصارة النحو البصري بما التقى فيه من آراء البصريين جمعها سيبويه بين دفتيه.

وبما أن كتاب سيبويه يعكس التفكير النحوي البصري في أبهى صوره فلا عجب أيضا أنه يحمل المصطلح النحوي البصري، ويشي بكيفية صناعة هذا المصطلح، وأهم خصائصه.

والمطلع على هذا الكتاب وإن لم يظفر بعمل مصطلحي كامل المعالم بما يشفي غليله، وذلك أمر طبيعي لأن النحو كان في بداياته، فلا يؤمل منه أكثر مما وُجد، ولا ينتظر منه أكثر مما

عُدّد، ولكن بالمقابل يمكن تلمس العرض المصطلحي في تلك المرحلة، وتحسس أهم خصائصه ومميزاته، والتي يتراءى منها ما يلي:

- المصطلح عند سيبويه في كتابه كان في مرحلة الطفولة وحداثة التكوين يسوده الاضطراب والضبابية، لذلك يقول أحد الدارسين: "فالمصطلح عنده وفي عصره كان في مرحلته المبكرة فهو مثلا يسمي (أسماء الأفعال) (حروفا) ولا يقلل من هذا مايقصده سيبويه بمفهوم (الحرف)، ذلك أن القصد في وضع المصطلح لا يظهر إلا في استعماله لا فيما نوي به "[30]، لذلك فقد لا يعول كثيرا على هذه المرحلة في الفصل بين المصطلحات المتداخلة والمتشابهة.

- يذكر سيبويه المصطلح ولكنه يزهد في تعريفه تعريفا دقيقا، ولا يضع له حدودا صارمة ضابطة، "فكتاب سيبويه يكاد يخلو من التعريف على وجه العموم، فهو مثلا لا يعرف الفاعل، ولا الحال ولا البدل ولا غير ذلك من أبواب النحو..."[31].

- في تعريفات سيبويه لمصطلحاته – على قلتها – يعتمد كثيرا على التمثيل كقوله : "فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، فالاسم: رجل، وفرس، وحائط...."[32]، ففي هذا تعريف لمصطلح الاسم، وقد عرض هذا التعريف بذكر الأمثلة المناسبة للمصطلح.

- عمد سيبويه إلى تحري الدقة المتناهية في عرضه لبعض المصطلحات المتشابهة، وذلك بالتفريق بين " مصطلحات متقاربة جدا لدرجة يمكن – في بدايات العمل النحوي – أن يستغني بأحد المصطلحين عن الآخر ...."[33] ، ويظهر ذلك مثلا في ذكره لمصطلحي (حركات الإعراب وحركات البناء)، و"هو بهذه الدقة يقدم لنا مصطلحا واضحا في ذهنه يمايز فيه بين ما استخدم في حال الثبات (البناء) وبين ما استخدم في حال التغير وفق الموقع الإعرابي (الإعراب)، وأعطى كل واحد منهما مصطلحا خاصا به، بقي مستعملا بصورته حتى يومنا الحاضر دون تغيير"[34].

وعلى العموم يمكن اعتبار كتاب سيبويه حاضنة خصبة للتفكير النحوي البصري عموما، والعرض المصطلحي منه على وجه الخصوص، فقد "قفزت بعض المصطلحات قفزات واسعة على يد سيبويه حين توسع في إطلاقها، فالحركات مثلا بعد أن كانت محددة عند الخليل يختص بعضها بالأفعال والبعض الآخر بالأسماء وهذه بصدور الكلم، وتلك بأعجازها أو أوساطها، عمد سيبويه إلى (الرفع والنصب والجر والجزم) فجعلها علامات للإعراب مختصة بأواخر الكلمات كما عمد إلى (الضم والفتح والكسر والوقف) فجعلها علامات للبناء..."[35].

فيلحظ عند سيبويه التفريق بين مصطلحات كانت متداخلة عند من كان قبله، مما يجعل عرضه المصطلحي يوسم في بعض مناحيه بالدقة، وإن جانبها في مناحي أخرى خاصة عند عدم اهتمامه بتعريف الكثير من المصطلحات وإطالة عناوين أبوابه النحوية.

4 – عرض المصطلح عند الكوفيين من خلال الفرّاء وكتابه " معاني القرآن ":

يمثّل الفرّاء مرحلة مفصلية في تاريخ النحو الكوفي، لا يمكن تجاوزها بأي حال، ويكفيه ما قيل فيه، حيث قال ثمامة بن الأشرس وهو من كبار المعتزلة والفصحاء المقدمين عند خلفاء بني العباس: "فاتشته عن اللغة فوجدته بحرا، وفاتشته عن النحو فوجدته نسيج وحده..." [36]، وليس تلقيبه بأمير المؤمنين في النحو من قبيل الصدفة أو الامتنان.

وما من شك أن للرجل الأثر البالغ في الدرس النحوي الكوفي ، فقد واصل على طريق أستاذه الكسائي، فتطور معه الدرس الكوفي أكثر مما كان عليه مع أستاذه، وذلك لأن الفرّاء "كان عقله أدق أخصب من عقل الكسائي"[37]، ويبرز مجهود الفرّاء في كتابه – معاني القرآن – والذي عمد فيه إلى التفسير اعتمادا على النحو والإعراب، وبحث في القراءات المختلفة، كما حمل منظومة مصطلحية خاصة بالكوفيين، وأحيانا خاصة حتى بالفراء نفسه تفرّد بها هذا الكتاب، وامتاز بعرضها، والمطّلع على – معاني القرآن – يعنّ له ما يأتي من العرض المصطلحي :

- تفرد الفرّاء ببعض المصطلحات النحوية وخالف فيها حتى الكوفيين، فلا يبدو أن " أحدا من النحاة بصريا كان أم كوفيا قد استعمل مصطلح (التفسير) بمعنى (المفعول معه) غير الفرّاء "[38].

- يعدّد الفرّاء المصطلحات في مقابل المفهوم الواحد، فقد أطلق على البدل عدة مصطلحات منها: التكرير، التبيين، التفسير، الترجمة، ولعل في كثرة المصطلحات دليلا على خصوبة عقل الرجل، أو ربما كانت كثرة المصطلحات محاولة منه لإيصال معنى المصطلح بتسميات شتى.

- تفرد الفرّاء بابتكاره لبعض المصطلحات وحد مفاهيمها، وذلك "برسمه للمصطلحات الخاصة به وبمدرسته في الفروع والأصول، وفق مذهبه وتصوره النحوي الخاص به"[39]، فكانت له منظومته المصطلحية الخاصة به وبمدرسته الكوفية، وله أيضا ما يقابلها من حدود وتعريفات متماشية مع فلسفته النحوية.

- يعرض الفرّاء مصطلحاته وفكره النحوي المتميز من خلال كتابه الرائد – معاني القرآن – والذي فيه "ثروة من المصطلحات المبتكرة التي اصطنعها الفرّاء وتأثر بها الكوفيون من بعده"[40].

والفراء على عظمة قدره وجلال مكانته ، وجهوده الجبارة في إرساء وتطوير المصطلح الكوفي إلا أنه حري بالدارس للمصطلح النحوي أن يتنبّه إلى المصطلحات المنسوبة إليه، فقد لا تكون كلها من ابتكاره؛ إذ لا يعزب عن الذهن " أن الخليل وسيبويه قد سبقا الفراء في استخدام بعض المصطلحات لكنها عُدّت كوفية، لأن الفراء كان أكثر استخداما لهذه المصطلحات منهما"[41].

ولعل المتأخرين من النحاة وبتعصبهم للبصريين تارة، وللكوفيين طورا آخر هم الذين أوجدوا ما يعرف بالمصطلح البصري والمصطلح الكوفي، فكان هذا أحد أوجه الخلاف بين المدرستين، والذي غذّاه التعصب، وطوّره الميل إلى إحدى المدرستين، وفيما يلي بعض مما سمّاه النحاة: مصطلحا بصريا ومصطلحا كوفيا.

5 - أهم الفروق بين المدرستين في المصطلحات و المفاهيم:

أسلفنا ذكرا أن البصريين و الكوفيين يختلفون من حيث منهج الدراسة ففي الوقت الذي يهمل البصريون الشاذ و النادر فإن الكوفيين يعولون عليه و ربما بنوا عليه بابا أصيلا في

دراساتهم , غير أن الخلافات بين المدرستين لا تتوقف ها هنا بل تطال حتى الجزئيات في الدرس النحوي و الجدول الموالي يبين أهم الفروق بين المدرستين خاصة في جانب المصطلحات و المفاهيم و التعريفات :

مصطلحات و مفاهيم بصرية	مصطلحات و مفاهيم كوفية
حرف الجر ، الجار	حرف الخفض، الخافض
الصفة و الموصوف	النعت و المنعوت
نعم ، بئس فعلان ماضيان جامدان	بئس ، نعم اسمان مبتدآن
الاسم . مشتق من السمو و العلو	الاسم مشتق من الوسم أي العلامة
عامل الرفع في المبتدأ هو الابتداء	عامل الرفع في المبتدأ هو الخبر
(أفعل) التعجب فعل ماضي.	(أفعل) التعجب اسم جامد
(إن) ترفع الخبر	(إن) لا ترفع الخبر
اللام الأولى في – لعل – زائدة	اللام الأولى في – لعل – أصلية
أصل الاشتقاق هو المصدر	أصل الاشتقاق هو الفعل الماضي
الظرف ينصب بفعل تقديره (استقر)	الظرف ينصب بفعل تقديره (حلّ)
(إلا) لا تكون حرف عطف بمعنى الواو	(إلا) تكون حرف عطف بمعنى الواو
(حاشى) حرف جر في الاستثناء	(حاشى) فعل ماضي في الاستثناء
المنادى المعرف المفرد مبني	المنادى المعرف المفرد معرب
واو العطف لا يجوز أن تكون زائدة	تجوز أن تكون واو العطف زائدة
فعل الأمر مبني على السكون	فعل الأمر معرب مجزوم
(كي) يمكن أن تكون حرف جر	(كي) حرف نصب فقط
(حتى) حرف جر	(حتى) حرف نصب للفعل
ضمير الفصل يفصل بين الصفة و الخبر	العماد يفصل بين النعت و الخبر
(رب) حرف جر	(رب) اسم

الهوامش:

[1] مهدي المخزومي: الدرس النحوي في بغداد ، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1986 م، ص 11.

[2] كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر، 1974 ، ج2 ، ص 131

[3] محمد طنطاوي: نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة ، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د، ت)، ط 2، ص 35 – 36 .

[4] شوقي ضيف: المدارس النحوية ، دار المعارف ، القاهرة، مصر، 1972 ، ص 12-13

[5] محمد طنطاوي: نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة ، ص 38 .

[6] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[7] طلال علامة : تطور النحو العربي في مدرستي البصرة و الكوفة، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د، ت)، (د، ط)، ص 134 .

[8] محمد طنطاوي: نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة ، ص 39

[9] طلال علامة : تطور النحو العربي في مدرستي البصرة و الكوفة، ص 137 .

[10] المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

[11] محمد طنطاوي: نشأة النحو ، ص 47 .

[12] طلال علامة : تطور النحو العربي، ص 163 .

[13] المرجع نفسه ، ص 169 .

[14] المرجع نفسه ، ص 177 .

[15] المرجع نفسه، ص 185 .

[16] أحمد أمين : ضحى الإسلام ، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، ج3 ، ص 95.

[17] كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ، ج2 ، ص 196 .

[18] أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ج2 ، ص 294 .

[19] شوقي ضيف: المدارس النحوية ، ص 13 .

[20] السيوطي : الاقتراح في علم أصول النحو، تح: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998 م، ط 1، ص 115 .

[21] طلال علامة : تطور النحو العربي، ص 197 .

[22] المرجع نفسه ، ص 201 .

[23] المرجع نفسه ، ص 209 .

[24] عبد الرحمن السيد : مدرسة البصرة النحوية نشأتها و تطورها ، القاهرة، مصر، 1968، ص 146/145.

[25] أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ص 296 .

[26] المرجع نفسه ، صفحة نفسها .

[27] وليد عاطف الأنصاري: نظرية العامل في النحو العربي عرضا ونقدا، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2006 م، ط 2، ص 12.

[28] كمال رقيق: المصطلح اللغوي في كتاب سيبويه: أطروحة دكتوراه، مخطوط، كليه الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2013 م، ص 35.

[29] محمود أحمد نحلة: النحو العربي أعلام ونصوص، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2011 م، (د، ط)، ص 11.

[30] أحمد عبد العظيم عبد الغني: المصطلح النحوي دراسة نقدية تحليلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، 1990 م، (د، ط)، ص 4.

[31] عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1986 م، (د، ط)، ص 72.

[32] سيبويه: الكتاب، تح : عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د، ت)، ط 1، ج 1، ص

[33] مصطفى طاهر الحيادرة: من قضايا المصطلح اللغوي واقع المصطلح اللغوي قديما وحديثا، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2003م، ط 1، ص 41 .

[34] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[35] حمد عوض القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عمادة شؤون المكتبات، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1981 م، ط 3 ، ص 122 .

[36] طلال علامة: تطور النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة، ص 201 .

[37] شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 196 .

[38] سعيد جاسم الزبيدي: من إشكاليات المصطلح النحوي القسم الثاني، مجلة العميد، سلطنة عمان، العدد الثالث، ص 113 .

[39] طلال علامة: تطور النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة، ص 201 .

[40] سعيد جاسم الزبيدي: من إشكاليات المصطلح النحوي القسم الأول، ص 145 .

[41] قاسم علي أكرم وحسن أسعد محمد: المصطلح النحوي الفرائي الكوفي في لسان العرب، مجلة دراسات تربوية، العراق، 2009 م، العدد السابع، ص 77.